



مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية

يوليو ٢٠١٥م

العدد (١٠٢)

الصفحة ٢٦

مجلة فصلية محكمة

[http : // Art.menofia . edu . eg](http://Art.menofia.edu.eg) *** E- mail: rifa2012@ Gmail . com

كلية الآداب

جامعة المنوفية - كلية الآداب - مصر

جامعة المنوفية

الصفحة ٣
العدد ١٢
العدد ٢٠١٢

تصوف المسلمين

بين أخلاق الإسلام وروحانيته

إعداد

د/ حسين محمد صبرى حسن

أستاذ مساعد الفلسفة الإسلامية

جامعة زايد - دولة الامارات العربية المتحدة

web site : <http://www.mnufia.edu.eg>

e-mail: r/a2012@gmail.com

MINOUHA UNIVERSITY

Faculty of Arts Journal

Muslim mysticism: the ethics of
Islam and spirituality

web site : <http://www.mnufia.edu.eg>

e-mail: r/a2012@gmail.com

مذہب و عقیدہ

(۳) اجتناب

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْبَاقِ

بين أخلاق الإسلام وحوادثه

5

د / حسین احمد صبری حسن

استاذ مساعد الفلسفة الإسلامية

جامعة زايد - أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

२५.१० १९७५

(10) Alleg

77

http://Art.menofia.edu.eg *** E-mail: rifa2012@Gmail.com

هبة الحمر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

22
21
20
19
18
17
16
15
14
13
12
11
10
9
8
7
6
5
4
3
2
1
0

نائب رئيس المجلس / هو لياما عسرتا مسجس

وَكَيْلُ الْكَافِرِينَ لِلْإِسْلَامِ الْأَعْيَادِ وَالْمُجْرِمِينَ

أ.د. / عبد القادر القاسم الحارثي الحارثي

Handwritten signature

الإسراء والتبليغ / أ. د. / خ. ط. في إبراهيم

ॐ नमो भगवते वासुदेवाय ॥

المحرر المنتدب

آسعاد بقسم الکتابات والعلومات

المحرر المقيم في / ندية عبدا الربوي محمد القاضى

آیتانہ سلسلہ فقہانیہ

أَسْأَلُكَ يَا رَبِّ الْقُدْرَةَ

مطابق مكتب السجل أ.د. / وكيل الكلية

لِلدُّرِّ وَالسَّكَاكِتِ الْوَالِدِ وَالْبُزْجِ وَالْجُزْجِ

شروط وسبل السلامة

أهم مميزات المطبوعة والأخبارية هي: المرونة في إجراء بحوث المكتبة ونقصا لدى وسائل المجسّـتير
من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والإحصائية وفي عصر العالم
المتغير، فإن أهمية الأقسام كليات الأدب والعلوم الاجتماعية والنفسية في مصر والعالم.

طلب الكليات.

فإن كان لا فضيلة ولا مجد ولا شيء يستحق منحه أو ينوب عنه فلا حاجة
وفا للمصلحة المنشأ على محكمة من رؤى الاختصاص، يتم التفرغ له بسيرة طاعة لبيان صلاحية
المصلحة العامة ومساو وموافقها شروط النشر ويتم إشعار الباحث بقبول البحث من جهة أو
اللائحة المرجعية.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ وَتَذَكَّرُوا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

[illegible][illegible]

المحتوى البشري في حدود مائتي كلمة وآخر الأجزاء

بمجرد أن يكون مكتوبة ببرنامج Word يسطح الذاكرة Key words (كلمات المفتاح) (رؤوس الموضوعات) (أقسام الموضوعات) على أن تكون مكتوبة ببرنامج Flash Memory على أن تكون مكتوبة ببرنامج Word يسطح الذاكرة

في Times New Roman ١٢ نقطة، خط ١٠ حادي، وإلا يقل هو أوش الصنف ١٤ السود.

[illegible]

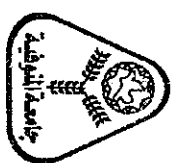
١٠٠ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠١ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٢ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٣ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٤ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٥ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٦ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٧ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٨ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١٠٩ (Mashhad) یمن ابن ماجه
 ١١٠ (Mashhad) یمن ابن ماجه

^(١٥) يشهد الأدلة الموضوعية في نهاية البحث فيما عدا البحوث التي تتطبع بحذر ذات الصلة من:

أ) بيانات الوصف، ولا طراده في تقريب عناصر البيانات.

يتميز المجهود والشاغل أساساً في المرحلة وفقاً لماورقانية بجملة ولا عازلة لها إمكانية الوفاء بواجبه الفعلي. ذلك أن المجهود والشاغل أساساً في المرحلة وفقاً لماورقانية بجملة ولا عازلة لها إمكانية الوفاء بواجبه الفعلي.

تستمر بالمرور لثبات رأيي الأستاذ العبد جعفر الإكثري في أهمية القضية واللجوء إلى



كلية الآداب
جامعة أسيوط

مجلة بحوث كلية الآداب جامعة أسيوط

يوليو ٢٠١٥م

العدد (١٠٢)

الصفحة ٣٦

مجلة فصلية محكمة

http : // Art.menofia . edu . eg *** E- mail : rifa2012@ Gmail.com

تابع قائمة المحتويات

ص	ص	الموضوع
٢٠٥ - ٢٢٢		تأثير اللوحات المصرية على نطق بعض الأصوات الاحتكاكية في اللغة المصرية الفصحى في المنطقتين الشرقية والغربية بالمملكة العربية السعودية "دراسة صوتية".
٤١١ - ٢٥٢	د / منى محمد على بشر	مقترحات القول في مقامات عائض القرني "دراسة نصية دلالية في التقديم والتأخير".
٤٥١ - ٤١٢	د / محمد طه محمد عبد الخالق	منهج سيدييه في التلقي عن شيوخه: التحليل بن أحمد وروفس بن حبيب.
٤٢٤ - ٤٥٢	د / محمد عطية محمد على	الإذاعات الإذيلية كآيس لليقول طيلة الاتصال: الدور والخصائص وراثات التخطيط.
٤٩٨ - ٤٢٥	د / كازوه محمد فوزي	الحركة التعليمية في عهد الملك عبد العزيز (١٣١٩ - ١٣٢٢هـ / ١٩٠٢ - ١٩٥٢م)
٥٢٨ - ٤٩٩	د / نبيل عبد الجواد سرحان	تصوف المسلمين بين أخلاق الإسلام وروحانيته.
٥٨٢ - ٥٢٩	د / حسين محمد صبرى حسن	التلقي والاحتكاك بوضوحها من منبئات اضطرابات النوم "دراسة مقارنة بين عينات من الأسوياء ومرضى التلقي".
585 - 629	د / حسن السيد عزيز الروسى	Die Kreuzzuge als Kulturaustausch in aktuellen deutschen und ägyptischen Geschichtsschreibern Dr. Harris Fahmy Saleem Mohammad Shuman

يوليو ٢٠١٥م

العدد (١٠٢)

الصفحة ٣٦

http : // Art.menofia . edu . eg *** E- mail : rifa2012@ Gmail.com

تصوف المسلمين : بين أخلاق الإسلام وروحانيته

د/ حسين محمد صبري حسن

أستاذ مساعد الفلسفة الإسلامية

جامعة زايد - أبوظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

ملخص الدراسة :

يمثل التصوف بين المسلمين نموذجاً خاصاً للتدين بالإسلام، حيث تغلب عليه الروحانية، أي التوسط بين العقلانية والمادية، ويمثل أيضاً تجربة ذاتية تختلف من صوفي إلى آخر، لكن جميع المتصوفة متفقون على أن المخرج الدوقي هو سبيلهم إلى التدين والمعرفة.

هذه الدراسة توضح خطورة النظر إلى التصوف على أنه جزء جوهري ومكون أصلي من مكونات الإسلام، وليس أثراً من آثاره بين المسلمين، لأن هذه النظرة أدت إلى ظهور نوع من الولاء لرجال التصوف، تبدل هذا الولاء إلى مرتبة من التقديس، وانتشرت بين المسلمين أشكالاً من التعبد بعبادات وأفعال وأقوال رمز للتصوف. كما توضح الدراسة أن التصوف ليس إلا نوعاً من تفاعل العقل المسلم مع النص القرآني والنموذج النبوي في الإيمان، لكنه لا يمثل إلا أصحابه ولا يتعدى نطاق تدينهم، صحيح هو يتصل بالإسلام، لأنه نما في ظله، لكنه ينسب إلى المسلمين، ورغم أنه تعبّر مشير عن أخلاقيات الإسلام وروحانيته، لكنه لم يستطع أن يستوعب روحانية الإسلام كلها، وليس فيه الدلالة القائمة عن أخلاقياته جميعاً.

ولأن التصوف يؤثر في أنماط التعبد بين قطاعات كبيرة من المسلمين في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ولأنه يتضمن سلوكيات خارجية عن الدين المقبول، كالزينة والتموض في التعبير، والمبالغة في الالتزام بالشكليات والطقوس، والانحرال عن حريكة المجتمع، فقد أدى هذا عند كثير من العلماء والعامّة إلى الإساءة إلى التصوف كعلم وكمارسة، مثمناً أدري إلى الإساءة إلى الإسلام.

الكلمات المفتاحية :

الإسلام - التصوف - التصوف المسلمين - الزهد - التعبد - التدين - أخلاق الإسلام - الروحانية.

منهجية البحث:

سوف تعتمد الدراسة المنهج التحليلي لبيان ما للزهد من أثر استقاء العباد من سموف الرحي مقاماً فهمها نقر من المسلمين، كما اعتمدت الدراسة منهجية تصوص الرحي مقاماً فهمها نقر من المسلمين، كما اعتمدت الدراسة منهجية الاستقراء لاستجلاء نماذج عدة من الأفعال التعبية التي مورست بين المسلمين منذ العصر الأول، واعتمدت كذلك على المنهج النقدي لبيان التشابك بين الزهد والتصوف من جهة، وبين التصوف والإسلام من جهة ثانية، للتوصل إلى الفصل بينهما وإقرار ما يجب أن يكون صديقاً، وما يجب أن يكون إسلامياً.

وسوف تتألف الدراسة من محاور عدة، هي:

- الإنسان المسلم
- النموذج الأمثل
- الإسلام
- روحانية الإسلام
- أخلاق الإسلام
- التصوف ليس جزءاً من الإسلام
- لماذا التصوف ؟

الإحسان المسلم:

هو ذاك الإنسان الذي مثله في إنسانيته كغيره من البشر، في كل عصر، وفي كل أرض، وتحت أي ظروف يعيش، تتوافر لديه العقلانية التي يستلهم منها المعرفة والحكمة والتمييز والتفلسف والتأمل الراعي والمنطقية، كما تشده المادية إلى حب الشراء والتزود ورغبة الإشباج لحاجاته الحسية والتملك والاستحواذ، وتشغله نوازحه الاجتماعية التي تنفعه إلى التواصل مع الآخر، ليتعارف ويتكيف ويؤثر ويتأثر ويخترط مع غيره في أنشطة وتجاهيات وتقاربات وربما تناقضات وصلوات مختلفة، مثلما تشغله بدرجة أو بأخرى تلك الروحانية التي تهفو بوجوده إلى السماء، حيث ينبع الحق والرحمة ورعاية الأخلاق التي تشدها الفطرة الإنسانية عندما تصفو وتزبد إلى أصولها الربانية.

تقديم:

في دراسة التصوف بين المسلمين منذ البحث عن الدور الأخلاقي الاجتماعي السياسي عند من خاضوا تجربته، ومتمعة تلمس دورهم الحضاري الإسلامي، بمعنى: ماذا حمل هؤلاء المتصوفة إلى الآخر غير الصوفي من المسلمين، وغير المسلم منذ العصر الأول للزهد وحتى اللحظة الراهنة؟، وهل استطاع المتصوفة أن يصلوا بمتوجههم الصوفي إلى أن يصيروا جزءاً أصيلاً وجزءاً من الإسلام؟، وما الأوس التي تجيز لنا الحكم على أفعالهم التعبية بأنها إسلامية؟، وهل علينا تجاوز عبارة "التصوف الإسلامي"؟، أم أن "تصوف المسلمين" هي العبارة الأجدر منهجياً بالتأصيل؟، فقد استطاع التصوف من خلال تاريخه ومفاهيمه ورجاله أن يقدم إلى مسيرة الحضارة الإسلامية تجارب ذاتية ثرية ومتنوعة، وفكراً خصباً - وإن لنا مضي قليلاً في مرحله المتأخرة - وأن يقدم شعراً له خصوصيته، وأماطاً سلوكية راقية، ونماذج مخلصه من التعبد، ونصباً من الجهاد لتصرة الدين وتغيب النفوس، ونموذجاً عملياً من الأخلاق الدالة على جانب عظيم من روحانية الإسلام، لكن يبقى السؤال: هل يُعد التصوف جزءاً ومكوناً من مكونات الإسلام ؟

إشكالية الدراسة:

فإنه بسبب انتشار نماذج عديدة من الأفعال التعبية التي انتشرت بين المسلمين في شتى بقاع الأمة، والخط بين الزهد والتصوف، والخط بين الإسلام كدين والتصوف كعلم له أصوله وممارسه ونظرياته، تنتزع مشكلة الدراسة في سؤال ربما تتفرع عنه أسئلة أخرى، هل يُعد التصوف جزءاً من الإسلام؟، وهل يصح أن يقال "تصوف إسلامي"، أم أن الأولى أن يقال "تصوف المسلمين"؟، وهل يصح أن يُتعبد بالأفعال الصوفية؟، هكذا تتحور موجبات الدراسة حول فرضية أساسية مفادها إجابة أن ما بين الزهد والتصوف إنما هو فرق في الدرجة من التعبد، وأن التصوف ينتهي للمسلمين كعمل اجتهادي، ولا ينتمي إلى الإسلام كجزء أصيل من مكوناته.

شخصية الفاعل - محدود صلى الله عليه وسلم - في كل الحالتين المتقابلين إنما

هي واحدة

• تملك القدرة والمعاشية التامة للفعل في كل حال على حدة

• في تدين حقيقي يعبر عن روحانية وأخلاق الإسلام بتسامهما

• دون تحيز لغلائية أو مادية أو اجتماعية أو روحانية، بل تنصهر هذه الأبعاد جميعاً لتشكّل نموذجاً إيمانياً في صورته التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن الحق في الإسلام.

وهذا يمثل الدين الحق والعبادة التامة في النموذج الأول والأكمل والأمثل من الأمة، والذي يجب ويستحق أن يُنقذ به، خاصة وقد قيل في وصف القرآن له "وإنك لعلى خلق عظيم" إن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة عليه، ولما كانت أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وأفعاله المرضية الجميلة وافرقة، وصفها الله تعالى بأنها عظيمة^(٦).

الإسلام يعني: الانقياد، وعلى ذلك فالمسلم هو "الشخص الذي يمثل هذا

الانقياد لله تعالى"^(٣)، وبالنظر إلى الإسلام كدين سماوي منزل، يضمتنا في مواجهته معنيين هما:

• الإسلام عندما يطلق على النصوص التي أوحى بها الله تعالى ميّناً دينه

• والإسلام عندما يطلق على عمل الإنسان، في إيمانه بهذه النصوص واستسلامه لها^(٤)

الغارن: لب لباب الفاروق ومثالي القرآن، مكتبة المشي، ج٢، ص ٣١٥.

(٣) Mark J. Sedgwick, The American University, Cairo Press, Cairo, 2000, p.8

(٤) سعيد حوى: الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠١، ص ٦٩

٥٠٥

مجلة بحوث كلية الآداب

لكن هذا الإنسان، على يقين أنه متميز في التاريخ، وفي الأرض، وفي السماء، لأن الله تعالى اختصه بختام النبوات والرسالات المنزلة من السماء، هذه الخاتمة تجسدت في نموذج هو الأمثل والأكمل إنسانية المسلم.

النموذج الأمثل:

حيث يلجأ كل مؤمن نقي من أمة الإسلام في حياته وممارساته وتجاريه وأقواله وتصورات وأعتقداته إلى الاقتداء بنماذج خيرة، لأنها تعبّدوه وتلهمه الصواب، وترشده إلى ما ينبغي أن يكون، ليتعالى عما هو كائن، وليرتقي إلى الأفضل، هذا ما أدركته الصحبة الأولى ممن اهتدى بالرسالة المحمدية منذ لحظاتها الأولى في مكة، بعد استقرارهم جوف الدين الجديد.

تمثل لهم هذا النموذج في شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، خاصة ولهم أدركوا أنه "محبول على أفعال الخير مصروف عن أفعال الشر"^(١)، يسمونه ورويه ويجذبه معهم ولهم وفيهم مثلاً تاماً رافياً لتجسيد كافة المضامين الإيمانية، اعتقاداً وممارسة، قولاً وفعل، عقلاً وروحاً ونفساً مادياً، فرداً له كبريته المستقلة وواحداً في جماعته، ولقياً ومدركاً في الوقت ذاته مصدر الإنسان إلى يوم الحساب، بما يشعرون، وهو يوضح ويعلّم، وهو يُنقذ، وهو يقاتل، وهو يأكل ويشرب، وهو في مهلة أهله، وهو يعمل ويتقن، وهو يُوحى إليه، وهو يتعبّد ويخلص، وهو يناجي ويخشع، وهو يعلمهم الروحانية الحقة أداءً وعطاءً، وهو معهم في أشدّ مراقبه حياتية يكادها كإنسان وهو بينهم - عندما يخصص نعله بيده الشريفة - مثلاً هو معهم في أشدّ مراقبه اتصالاً بإخلاقه زهداً وعبادة وارتقاء وطاعة كما حدث في الليلة معارجه إلى السماء.

إن من يتأمل كل هذه المقابلات الانسانية من أقوال وأفعال وصفات، يمكنه أن يستدل ويبرر من تحليل نموذج الإنسانية الأمثل في الإسلام، على أن:

(١) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية: بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠، ص ٦٩

٥٠٤

مجلة بحوث كلية الآداب

ويغفر وثأبته الحكمة سالفة طبيعة، ونساج إيمانية معهم مثل: مصعب وبلال وسلمان وابن عباس وابن مسعود وابن الوليد وابن عوف وسعد وحمزة وأبو عبيدة وصار وآخرين من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

أدبهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ورباهم تربية نورانية، وأقر لهم بما جسدوه مسوراً حقيقة متبانية يكتمل فيها روعة الرسالة الخاتمة ورفيها وتبزيها، فليس لأحد أن يتعجب أنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كيف رق قلب عمر الشديده مهدياً يقطع رقبة من يقول إن محمداً قد مات، واشتد قلب أبي بكر الرقيق عندما أطلق قوائمه "من كان يحب محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"؛ لأن فعل كل منهما في الأولى - في حياة الرسول - وفي الثانية - بعد وفاته - يعبر عن اجتياز مخلص، أسسه وعي بالظرف والحال والنفس، وتربية نموذجية، وإخلاص لله تعالى، مما يسفر عن التناغم - الذي ساد هذا الزمن - بين النص الإلهي وواقع المسلمين، ذلك ليس لنا أن نتجاوز حقيقة أنه "كان في الصحابة والتابعين ومن بعدهم فهم الدين، وكان للخاصة من الفهم في الشريعة ما لم يكن للعامة"^(٩)، لهذا عندما ظهر الزهد بين طائفة من المسلمين، ثم عندما تحول هذا المسلك الإيماني فيما بعد إلى ما يعرف بالتصوف، فإن الفعل التعدي في الحالفين كان يمثل بين هذه الطائفة حالة عامة بينهم، لكن الطابع الفردي هو الغالب على عمومها^(١٠)، هكذا الإسلام وهو ينصر الجماعية وروحها، فإنه أبداً لا يفض الطرف عن إثبات حقيقة وجود الحقائق الذاتية لأفراد المؤمنين، إذ إنه يقرهم على صحتها ما كانت في إطار شرعي من الدين.

استأثرت العقائدية بصيب أكبر من العقيدة الإيمانية عند بعض الصحابة، واستحوذت الروحانية على قرة أكبر عند البعض الآخر، لأن الإسلام صبر خصوصه القرآنية ومن خلال أقوال وأفعال النبي الكريم محمد ﷺ، عندما يرشد المسلم إلى

(٩) الشافعية: المواقف، تحقيق: أبو عبيدة آل سلمان، دار ابن عثان، ط١، ١٩٩٧، مجلد ٢، ص ١٤٥.
(١٠) حسين صديري: رزية الله في الإسلام، دار الضياء، البوقي، ط١، ٢٠١١، ص ٢٥١.

وهذان المعنيان قائمان، غير أنه لكيلا تأخذنا صومبيات الألفاظ الدالة عليهما، ولتوخي المزيد من الدقة والتحديد، فإن الدلالة التي سندعدها ونعلق منها للنبي عليها هي كون الإسلام "شريعة هذه الأمة وبناها كما أوحاه الله إلى رسوله المبعوث إليهم رحمة منه وفصلاً"^(٥)، والذي "يُعرف من الكتاب والسنة المعتمدة عند علماء نقد الروايات"^(٦)، ويمثل "إجماع المسلمين على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات وإصلاح أمور الدنيا والآخرة"^(٧)، هذا المعنى يوصلنا إلى أن ما نعبئه "ليس مجرد مجموعة من التصورات، بجزئها العقل، أو مثل يمثليها الخاطر، أو أحكام موقوفة التنفيذ، وإنما هو معتقد، يصحبه عمل، وإيمان بصورة سلوك موجه بهذا الإيمان"^(٨)، فهذا كله يخبر عن استقرار الانقياد في ضمائر المسلمين، عندما تأسس هذا الانقياد وفق روحانية وأخلاقيات معبرة عن الإسلام، انتهت بين الصحابة إلى نماذج إيمانية متبانية، رغم وحدانية النموذج الأمثل لرسول الأمة، وكمال وروحانية المصدر السماوي لكلام الله تعالى، ولعل هذا يمثل غاية من غايات الإسلام حين برأعي الفروق والتباينات بين الناس في تعبدهم وإيمانهم.

إن روحانية الإسلام لما فطنت فطليها بين المسلمين أفرزت تساؤلاً في الشخصيات الإيمانية، وفي هذا يتجلى أحد أهم وأكبر أسرار القوة والصدق والواقعية والمسؤولية والانزان التي يتصف بها وعي المسلمين بدينهم، عندما يقدم هذا الدين للأمة شخصية الصديق أبي بكر الذي ينفطر قلبه وتخشع جوارحه وتغلبه دموعه من الخشية والمحبة لله تعالى، وشخصية الفاروق عس في حزيه وحسمه وقوته وانشغاره للعدل، وشخصية عثمان الذي شمتحي منه الملائكة في جوده وحيائه وسباقه في العطاء الذي يرضي ربه، وشخصية عليّ التقيي المورع الحكيم الذي يقدر ويصون

(٥) محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار القرآن، القاهرة، ص ٥.
(٦) سعيد حوى: الإسلام، ص ٨.
(٧) من رد هبة كبار العلماء على كتاب "الإسلام وأصول الحكم" للشيخ علي عبد الرزاق، قاتم: السيد تقي الدين، مجلة الأزهر، ١٤١٤ هـ، ص ١٦.
(٨) عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام، دار المعرف، بيروت، ص ١١٩.

الأول: عقلي، يقدم له البرهان الذي يستشيعه وينسجم مع ملكاته وقدراته ويربح باله، وفيه الظن المهالك والشك المضني.

والثاني: روحي، يفرض عليه بأنار حب الله تعالى، فيصعد به - بروحانية تزخر بها آيات القرآن - إلى من وصف نفسه بالرحمة والقدرة والعلم واللطف والجلال والإكرام.

والقرآن في روحان المسلمين "مما يتعد به"، كما أنه "دعوة واضحة إلى الاتجاه الروحي"^(١٤)، والروحانية في الإسلام، لا يمكن لها بحال أن تشغل أقل من نصف ما يعثقه هذا الدين من عقيدة وشريعة، فتأتي الأخلاق - بشقيها النظري والعملي - لتؤسس النصف الآخر من حقائق الإسلام ومفاهيمه، فيتكاملان ليحددا معاً جوهر الإسلام، وهذا لا يعني أن الإسلام نصفان هما: الروحانية والأخلاق، لأنهما يتمازجان، فالروحانية على وجه الخصوص هي روح الإسلام الرائدة التي تتجسد في كل مفاسله وفي شتى مضامينه، ليتحقق من هذه الروح وتلك الأخلاق أصول الدين الصحيح.

هذه الروحانية التي ذهب المتصوفة في تقديس مكانتها مذاهب شتى، أساسيات إليهم من حيث أزلوا إثباتات تطبقها بالإسلام، لذا يقول البيروني في التقنياته بينهم وما ظهر عند زهاد الهند من أن العاروف "إذا وصل إلى مقام المعرفة فإنهم يزعمون أنه يحصل له روحان، قديمة لا يجري عليها تغيير واختلاف بها يعلم الغيب ويفعل المعجز، وأخرى بشرية للتغيير والتكوين"، ويكمل إن "مثله مثل أقربيل النصاري"^(١٥)، تلك الروحانية التي اشتمت من الروح الذي "ما به حياة النفس"، وهي "خلق من خلق الله لم يعط علمه أحدًا"، لهذا أطلق لفظ الروح على: القرآن

(١٤) عبد الحليم محمود، مقدمة التصوف، نسخة الكثر وثيقة متوفرة ب مكتبة المصطفى، ص ١٨٧.
(١٥) البيروني، في تحقيق ما للهند من مقولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط ١٧، ص ٥٢ : ٥٣

التعبد إنما يرشده إلى الالتزام بالفعل التعبدى، لكنه يدع خصوصية وتفرد الممارسة لكل إنسان حسب ما يملك من قدرة على الطاعة، وحسب رعيه لمراد النفس، وأيضاً حسب تفاعله مع واقعته الانساني والاجتماعي، فعندما يجتهد المصطفى ﷺ أصحابه ومن ثم أئمة المسلمين، "صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي" (١١)؛ فإنه يدلهم على هيكل الفعل التعبدى في الصلاة وآلياته وأركانه وشروطه، ويدع ممارسته واستثماره وأثره لكل مسلم وفق استطاعته في الخشوع والإخلاص والمجاهدة، ليلبغ هذا المتعبد أرقى مراتب الإيمان على قدر جهده وإخلاصه في العبادة.

كما أنه عندما كان يتحاذر أحد من المسلمين إلى عقلانية أكبر أو روحانية أكبر في العهد الأول، كان هناك من يراجع، حدث هذا منذ التفاعل الأول للمسلمين مع مرادات النص القرآني، وللسنة النبوية الصحيحة، والدليل أن الزهد الذي كان يمثل في الانسحاب والعزلة عن المجتمع لم يكن مقبولاً في ذلك الزمن، لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يُنظر إليه باعتباره النموذج الأمثل والأكمل للمسلم كان يمارس حياته مع الناس ويتزوج وينجب ويقاتل ويشارك في الحكم (١٢)، كما عُرف عنه الزهد، لكن دون أن يستغرقه هذا الزهد أو يأخذ به إلى المسالك التي ارتادها فيما بعد المتصوفة من المسلمين، تقول ذلك لأن "تقريباً ممن درس نشأة التصوف قد خلط بين الزهد والتصوف"^(١٣)، والحق إن الفارق النوعي بينهما مما لا يمكن تجاوزه إلى درجة الخلط بينهما.

روحانية الإسلام :-

إن القرآن وهو دستور الأمة المسلمة، ييسر أنواره في كل سبيل يهدي ليهتدى به، ويقدم الحجة إنباعاً للعقل مثلاً يقدم الروحانية إنباعاً للنفس، ولكن عطاهه وظل بغير انقطاع، كان له إلى النفس البشرية مدخلان:

(١١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، برواية محمد بن الحسن الشيباني، باب ١١ صلاة الخوف، ص ٢٠٨.
وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب من ساء فترك ركناً عليه، ٢٩٨/٢. ورواه ابن حبان في صحيحه، ١٥٢١١.
(١٢) Carl Ernst: Early Islamic Mysticism, Paulist Press, New Jersey, 1996, p. 20.
(١٣) أحمد محمود مبرج، التصوف، دار العمل، القاهرة، ص ١٩.

أراد أن كان صاحب الجسم يستعمل الأخلاق المهلكة فإن الروح تنقوى ويرفع حكم العقل
عن نفسها حتى لا تترك كذلك إلى أن يصير الجسد في نفسه كالروح^(٢٣)؛
فالروحانية بهذا لا تنقسم عن الخلق.

● فهل ما بين الأخلاق والروحية ما يفرض اجتماعهما معاً ؟

• أو أن ما بينهما في الإسلام تحديداً هو تماثل: يقضى إلى درجة تامّة من التطابق؟

يصعب إن قبول فكرة "عدم المرافعة" بين الأخلاق والروحانية في الإسلام، كما لا يمكن تصور أن تنشأ بينهما مراجعة إلى تضاد .

فدلائل النص القرآني تثبت التكامل حد التطابق في الإسلام بين:

• الروحانية : التي يجب أن يتحلى بها قلب المؤمن

● والأخلاق : التي يجب أن تدل عليها أقواله وأفعاله وبما ينشأ ما يصدر عنه من معروفاً.

ورد ذلك في أكثر من موضع قرآني، من أبرزها هذا الاقتران في أغلب نداءات

القرآن الذين آمنوا - فيما يعبر عن الروحانية - والذين عملوا - فيما يعبر عن الأخلاق العملية، وأوضح هذا التطابق في خطابه تعالى إلى الرسل، وإلى المؤيدين، وإلى عامة الناس، وفي خطاب المرسلين إلى أقوامهم، فإن الله تعالى يصنف قريباً من عباد "عباد الرحمن الذين يهتدون على الأرض هدياً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا عباداً" والذين يبتغون لهم سعياً، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم سلاماً، وانها ساءت مستقراً وعقاباً، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً" الفرقان ١٣: ٦٧، يقول القرطبي "تكرر المولى عباداً يقتروا وكان بين ذلك قواماً" تشريفاً لهم، لأن من أطاع الله وعبده المؤمنين وذكر صفاتهم، وأضاههم إلى عبوديته تشريفاً لهم، لأن من أطاع الله وعبده

والوحي والرحمة وجبريل (١٦)، في إشارة إلى الأمور التي تتعالى عن الحسابات وترقى إلى عالم أبهى وأكمل.

هذه الروح إنما هي "لطيف مودع في القلب منه الأخلاق والصفات الحميدة" (١٧)، هكذا لا تبصر الأخلاق إلا على أصولها التي تتبع منها وهي، فالروحانية، فالروحاني من الخلق: نحو الملائكة من خلق الله روحاً بغير جسد، لهذا المثال لم يسبق إليه (١٩)، هكذا اشتق الخلق من خلق، والخلق في كلام العرب "ابتداع الشيء" على مصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر أو رؤية" (٢٠)، فالخلق بعضهم اللام وسكونها، هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته العظيمة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق (٢١)، ولهذا أيضاً أجمعت كتب التفسير في قوله تعالى "ولذلك لعلى خلق عظيم" على أن المقصود بهذا الخلق هو دين عظيم من الأديان، وحقيقته في اللغة: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب ويسمى خلقاً، لأنه يصير كالخلق فيه، وسمي خلقاً عظيمياً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، ودلالته قوله ﷺ "إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق"، وما ورد في صحيح مسلم عن عائشة "أن خلقه كان القرآن" (٢٢)، بهذا التسلسل حدث التمازج القوي والتام بين الأخلاق والروحانية، حتى أن التهانوي يقول

(١٦) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، المجلد الثالث، ص ١٧

١٧) كشاف اصطلاحات الفنون، ج ١، ص ٨٧٧

(١٨) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث، ص ١٢٤٣

(٢٠) المصحف المصحف: إبراهيم السليبي، وآخرون، مكتبة الديار

Yoy Ua

(٢٠) من منظور: لسان العرب، الصحاح، التلخيص، من الله بن

(١١) ابن سبويه، *مختار*، ج ٢١، ص ١٤١، والزمخشري: *الكشاف*، ط ١٩٠٠، ج ٢١، ص ١٤١، والزمخشري: *الكشاف*، ط ١٩٠٠، ج ٢١، ص ١٤١.

تَهْمِيَّةٌ: الْقَسِيرُ الْكَبِيرُ، تَحْقِيقٌ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَمِيرٌ، قَدْ

إلى شخصيات بدءاً من الحسن البصري حتى ابن عربي (٢٨)، فالحال إلى الموضوعية عندما يقر أثر القرآن وأياته في المسلمين روحانياً، لكنه يتجاوز الموضوعية عندما يغفل عن روحانية الإسلامية في عمومها والتي تتغلغل في أنحاء العقيدة وفي شتى مساراتها، هذا ليضع السند - في اعتقاده - لظهور التصوف بين المسلمين، والواقع أن تلك المقولة التي رجحت بين مؤرخي التصوف وأسس لها نثر المستشرقين من أنه "بالنسبة للصوفية جميعهم فإن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الصوفي الأول" (٢٩)، وولدها كثير من الباحثين العرب حتى يقال "يعد الرسول صلى الله عليه وسلم الرائد الأول للتصوف الإسلامي بحق" (٣٠)، ولنا تستطيع أن نحصر المصدر النبوي في نشأة التصوف الإسلامي في أخلاق النبي ثم في آثابه" (٣١)، حتى أن أحد رموز وقطاب الصوفية المعاصرين يصرح بأن "المثل الأعلى للصوفية على بكرة أبيهم، إنما هو رسول الله ﷺ" (٣٢)، وكل هذا صحيح وليس لنا فيه شك، غير أنه يجب أن يقال بأنه محمداً رسول الله أيضاً هو المثل الأعلى للفقهاء والمفسرين والمحدثين والمكلمين والأصوليين والمتكلمة وكافة ممثلي الفكر في الإسلام وثنى أصناف الأمة عامتهم وخاصتهم.

أخلاق الإسلام:

ذكر "إن التصوف الإسلامي في أول عهده كان خلقاً دينياً" (٣٣)، مثمناً معتبر أن بداياته كانت في "ظهور تيار الورع الذاتي الذي انقلب زهداً" (٣٤)، وهذا قول مصدح في دلالته، على خلق ديني محدد - أي الزهد - وليس على أخلاق الإسلام بشامها، لهذا أصاب من صرح بأن "التصوف سلوك وشعور" (٣٥)، ولعل ذلك كان

(28) Carl Ernst: Early Islamic Mysticism, p. 17.
(29) Mark J. Sedgwick: Sufism the essentials, The American University Cairo Press 2000, p. 13.

(٣٠) عابر الجار: الطرق الصوفية، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥، ص ٩٢.
(٣١) فيصل عوز: التصوف الإسلامي، مكتبة سيد رافت، القاهرة، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٦.
(٣٢) عبد الحليم محمود: فقهية التصوف، ص ١٦.
(٣٣) حنا القانوري وخيال الجور، تاريخ الفلسفة العربية، ج ١، ص ٣٠٠.
(٣٤) علي سامي الشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، ط ١، ج ٢، ص ١٦.
(٣٥) إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية، المكتب المعجري للطباعة والنشر، ج ٢، ص ١٨٠.

وشغل سمعه وصدوره ولسانه وقلبه بما أمر به فهو الذي يستحق اسم العبدية" (٢٤)، كما وردت الدلالات الأخلاقية في وصفه تعالى للمؤمنين (٢٥)، وفي وصفه سبحانه لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم "فيما رحمة لنت لهم ولم كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" آل عمران، ١٥٩، وقوله تعالى "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين يوفى بهم" التوبة: ١٢٨، وفي وصية لقمان لابنه (٢٦)، وفي وصفه عز وجل المجتمع الإسلامي الفاضل في أخلاقيات أهله وروحانيته، حيث إن الآيات التي تقرر هذا المنحى تحمل من الدلالات والأسرار لهداية العقل والقلب وتوجيه السلوك، لتتلمذ روحانية الإيمان وأخلاقيات العمل بما يوصل إلى تركية النفس وصلاحها في واقعية وتوازن بعيد عن المغالاة والشطط الذي وقع في أغواره كثير ممن ينشربون إلى التصوف في العصور اللاحقة .

وضع القرآن (٢٧) كافة الأطر التي تشيد البناء الأخلاقي في الإسلام بما يحمله من روحانية تشري في كافة أركانها، كانت حياة الرسول ﷺ هي نموذجها الحي، الذي يجهر عامة المتصوفة بأنه صلى الله عليه وسلم قدوتها الأولى، لكن ما لا يمكن إنكاره تلك الهوة بين النموذج الإيماني للرسول وطرائق التبعيد التي أتتها المتصوفة منذ أن استقر التصوف علماً معبراً عن الإسلام، لهذا جالبه الصواب من قصر روحانية الإسلام - في التمسك بالدين - على إطار بعينه، أو في زمن بعينه، أو في أشخاص بعينهم، عندما يقسم الروحانية إلى مراحل أربعة: الأولى منها تلك التي تضمنت القرآن ومعالج الرسول صلى الله عليه وسلم، ويصنف الثلاث الباقية

(٢٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، نسخة الفكر ودية مؤفزة على إسلام ربيب، ج ١٩، ص ١٦٠.
(٢٥) سورة المؤمنون، الآية ١١٠.
(٢٦) سورة لقمان.
(٢٧) كما ورد في: الشورى، ١٢٧، ولك عمران، ١٣٤، ومحمد، ٧٥، والأعراف، ١٩٩، والحل، ٩٠، والجمعة، ١٢٠، والمؤمنين، ١١٠، والمعارج، ٢٣، والأسماء، ٢٤، والمائدة، ٢٠، والتوبة، ١١، والجنات، ١-١٢، وشراهد عدة من آيات القرآن الكريم.

إنما هو المكتسب، بينما حقيقتها وجوهرها وفاعليتها تكمن في فطرة الناس جميعاً، لكن يبدو أن الفطنة الأخلاقية ليست في الأخلاق ذاتها بقدر ما تتجلى في الأحكام التي تصدرها على أفعالنا والتي توصف بالأخلاقية، إذ إن منها ما هو منزل في شريعة ربانية صحيحة، ومنها ما هو مفروض من العادات والتقاليد، ومنها ما هو من وضع البشر^{٢٠}، وينتهي صاحب هذا المقال إلى تقرير أن كثيراً من الأحكام الدينية وأحكام العادات والتقاليد وكثير من أفعال البشر هي أحكام أخلاقية^(٣٩).

في ضوء ذلك، هل لنا أن نشأه: إلى أي جهة يمكن أن ينتمي الفعل الصوفي، التعبدى وما يصاحبه من طقوس وعبادات ومشاعر إيمانية؟

- هل من الشرعي الإلهي الصحيح؟
- أم من العادات والتقاليد الجمعية التي أسسها الناس وتألفوها جيلاً بعد جيل؟
- أم من الأفعال التي تفتقت عنها اجتهادات العقل في فهم تصورس الروحي؟

إن التجربة الصوفية لها جوانب عدة، وموضوعية التحليل العلمي تقتضي أن لميز فيها بين: جانب تعبدى، وجانب وجداني، وجانب سلوكي، وجانب تعبيري، إذ ليس للعقل عند الصوفي آثار فاعلة في ذاتية التجربة الروحية التي يفرسها، رغم أن العقل هو صاحب الكلمة الأولى في اختيار هذا المسلك الروحي المعبر عن الإسلام، ولما كانت اللبنة والتعابير هي أيضاً صورة متبرقة - بدرجة أو بأخرى - عن هذا المسلك، ولما كانت التصورات العقلية بين الصوفية فيها الكثير من الضبابية والتعقيد والاتصال الخفي بين هذه اللغة وفردية الممارسة، فإنها تدخل ضمن نطاق الاجتهاد البشري في العبادة، لكنها لا تنقطع عن الشرعي المنزل من الدين، ولا تنقطع عن العادات والتقاليد ظرفية الزمان والمكان، ولهذا يبتعد كثيراً عن الصواب من اعتقاد بأن "الماتم" فهي تارخ الحياة الروحية الإسلامية ولا يحظ أن التصوف برياضاته ومجاهداته، وبأفكاره ومبادئه، وبما اكتشف عن قلبه من أهله من الحجب، وما كشف

سبياً في أن أرجع البعض نشأة الحياة الروحية في الإسلام إلى "التكشف والورع والتعبد والزهّد والقوى"^(٣١)، فحصر الروحانية في مجموعة مشاعر وسلوكيات لها طابعها الذي يميزها عن غيرها، وشأن ما بين أن نطلق هذا الحكم في حق التصوف الذي يضيّق فيه نطاق الروحانية الإسلامية فلا تريد عن كونها باعثاً لمشاعر وسلوكيات وتعبيرات المتصوفة - مع تقديرنا البالغ لقيمتها ولزورها - ودون أن نطلق هذا الحكم على الحياة الروحية للإسلام والتي تسري مسرى الدم في عروق هذا الدين من عقيدة وشريعة ومعاملات.

فقد اجتهد باحث معاصر^(٣٧) بالتأمل المجد لتصور القرآن والسنة، لاستنباط الأسس العامة لمفردات الأخلاق في مفاهيم الإسلام وتعاليمه الربانية، فخلص إلى أنها تتناول العناصر المكونة للإنسان، في النفس، المصدر، القلب، القوى، الفكر، اللب، العقل، وفي الإنسان عامة، وتتصل بكافة شعب الإيمان، والبر، والهجرة، والفضائل، والعلم، والعمل، والمطاه، والتركك، والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتربية الصغار، وعلاقات الإنسان بغيره، والعفة، والشجاعة، وعطو الهمة، والسماحة، والصبر، والمحبة، والدافع الاجتماعي، وقوة الإرادة، والرحمة، والأمانة، والحق، والصدق، فاستدل على أن أخلاقيات الإسلام تنطلق في حياة المسلم، لتأخذ به إلى مثل الباعث الخلقى للفعل، ثم إتيان الفعل الخلقى ذاته، في حق نفسه، جماعته، أمته، دينه، ربه، الناس، بل ومع كل ما حوله من كائنات.

أدى هذا إلى اختلاف بين الباحثين في طبيعة الأخلاق، فاعتقد البعض أنها فطرية، بينما ذهب آخرون إلى أنها مكتسبة، ورويتنا مع من يعتقد أن "الشرع الإلهي الإيجابى هو الذي يكمل القانون الأخلاقي الفطري المعروف في النفوس"^(٣٨)، وهذا يحض القول بأنها مكتسبة، لكن ذلك لا ينفي قابليتها للتغيير، إذ ما يعطى الأخلاق

(٣١) مصطفى حسني: الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٤، ص١٩.

(٣٧) أنظر: عبد الرحمن المصطفى: الأخلاق الإسلامية، دار الفلم ببيروت، ط١، ١٩٩٩، ص٩ ومحمد دراز: مشور الأخلاق في القرآن.

(٣٨) محمد دراز: مشور الأخلاق في القرآن، ص ١١.

[illegible]

أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي

يقول بول هيك "إن التصوف في ذاته شكك معقّد من التدين"، ولا يبارضه أحد يصنع هذا القول، لكنه، يستورد قائلاً إنه أيضاً يشكل جزءاً متكاملاً من الإسلام، ويصادف في مقالته، التي أنه "الروحانية في الإسلام" (٤٤)هما أدنى عدد البعض إلى (٤٥) التي تعد أساساً للتصوف وجمعاً لبلانته (٤٦) (٤٧) وهذا القول، يشي، بمعالطات ثلاث:

الأول: اعتبار الوجوديات أساساً للتصوف، نعمتٌ نستطيع أن نستدل عليه بـ«رسد في
كل الأرباب والمذاهب والمصنوع وأفراد الزاهدين على اختلاف مشاربهم»
وهو «مستقيم فيه من المذاحة ما يكفي لأن يفتح الباب على مصراعيه
الأكيدة الموروثات الخارجة عن الإسلام وببئنه الأولى في تأسيس التصوف

(44) Paul T. Meek: *Sufism Today*, p.13.

[illegible]

أهم من خلاف، هو المرأة المسلمة التي تملك حايص مساحتها المصنوع المسلمة التي اتخذتها الحياة الزوجية في مختلف المصور الإسلامية" (٤٤)، وهذا يدل على أن المرأة

فللعمروف وحده فهو، الذي يجسد الحياة الروحية، والتدبير المصيري في الإصحاح ١٢

فليس أنه لم يظهر بين صفوف المعتنقين هذا التصوف بعدد من مرادفات الأديب
في الزهد، هل يعني ذلك أن نقصاً ما أصاب بيئة الإسلام؟

الواقع أن الشدين في الإسلام هو الذي قاد المسلمين إلى الديمقراطية وصالح

التكاليف على النحو الذي ظهر بين الزهد أولاً، ثم بين المناصرة، والمحمود في ملقوبن محدودة بين أفراد بعضهم تمايزوا عن غيرهم بروحانيةهم العالية، ظهر أن مقعود الروحانية القائمة التي يقرها الإسلام إنما تتغلغل عبر جميع مساراتها ومجاريها بالأخلاق، وأقرى ما يمثل الأخلاق في الإسلام هو الإسلام الخلقي، مؤكداً يمكن تخصيص المسألة من أن أي مذهب أخلاقي جذر بهذا الاسم، لابد له أن يستند إلى فكرة الإسلام، لأنها الأسس الجوهري والمحمور الذي يطور حوله النظام الأخلاقي، وبغالب فكرة الإسلام يؤدي إلى استخدام روح الحكمة العملية ومبادئها، لابد إذا لعدم الإسلام انتفت المسؤولية^(٤١)، وربما كان هذا هو السبب في توجه ابن رشد إلى الربط بين الأخلاق والزهد... وليس التصوف... عندما قسم العالم الإسلامي إلى الفلاسفة بادية وبينه وهو الفقه، وأفعال نفسانية مثل الصبر والشكر وغير ذلك من الأعمال التي دعا إليها الشرع أو نفى عنها وهي الزهد^(٤٢)، وابن رشد وهو يقر بأن الزهد مرتبط بالشرع وأخلاقيته، لا يرى هذا الارتباط مع التصوف، بل نجد عدد المربين الذين لوجود أية علاقة معتبرة بين الشرع والزهد، حيث قيل "إن الزهادة في العالم الإسلامي

(٤٠) مصنفه: حاشي: الدولة الروحية لدى الإسماعيلية، ص ١٠
(٤١) المصدر: نفسه، ص ١٠
(٤٢) ابن رشتة: فصول القبائل، تحقيق: مصنفه، ص ١٩٧
(٤٣) ابن رشتة: فصول القبائل، تحقيق: مصنفه، ص ١٩٧

قديم قدم البشرية وأنه مرتبط بوجود الإنسان^(٤٨)، وهذا حقيقي إذا نظرنا الى غلبة الروحانية عند أتباع كل معتقد ديني، لكنها لا تشكل بالضرورة تصوفاً، ويتألف أحد الباحثين في قوله "إن تسعين في المائة من الأمة الإسلامية خلال قرون متعددة لهم صلة بالتصوف وأهله بشكل من الأشكال"^(٤٩)، حتى يقال "إن في علم التصوف ما جعله عند البعض إلهامياً له قوة الرحي في التشريع"^(٥٠)، هكذا وصل الأمر إلى حد إضفاء اعتبارية شرعية فوق ما ينبغي للتصوف، ليتم الحكم عليه بأنه "كأحد الأبعاد المعكبة للإسلام، فإنه يمثل لدى بعض المسلمين بديلاً لسلطة الإسلام"^(٥١)، رغم أن نتائج الصوفية ما هو إلا اجتihadهم في العبادة، وهو فعلٌ محمّدٌ، وله قدره ومقداره واعتباره وأثره وانتشاره، لأنهم اجتهدوا بالقرآن والسنة الصحيحة كما فهموها وتأثروا بفعل الصحابة، فكان الزهد، وتأسس التصوف، والفعل الاجتهادي يظل مقبولاً ما ظل في نطاقه الشرعي، غير أن ما ينبغي الرد عليه والتصدي له إنما هو التسادي في تقدير اعتبارية التصوف، وفلسية رجاله، وطرحه جزءاً جوهرياً من الإسلام، ومعتبراً وحيداً عن روحانيته، وانعكاساً منفرداً لأخلاقه، بعيداً عن كونه فعلاً إسلامياً، انصل وانطلق بطاقت فرسية وكيانات جماعية، فمير عليها وبها، في طرائق من الزهد وبما هي مختلفة، فإنه ظل محتفظاً بطابع القرية في ممارساته التعبدية، فكان انعكاساً لأخلاق خاصة ومحددة ويمكن تمييزها، لكنه أبداً لا يكون انعكاساً لروحانية الإسلام بالكلية، وإنما فهم للنص القرآني المحفز للتدين والزهد، وبدناً أحياناً بفهم الإسلام أبعادها، وأحياناً بفهم تفصيلي، ومن الصوفية من تعلق بالآلات الألفاظ في الصلاة، وطلبهم من تعلق بالآلات الاصطلاحية، ومنهم من فهمه فهم العلم، ومنهم من فهمه فهم العمل، فلم تلتزم كافة أبعاد فهم النص القرآني عند كثير من الزهاد

(٤٨) فهمل عزن: التصوف الإسلامي، ص ١٧٢، ط ١، ١٩٩٩ م، ص ١٧٢.

(٤٩) سيد حوري: ترويقاً الروحية، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩ م، ص ١٧٢.

(٥٠) المرجع نفسه، ص ١٧٢.

(٥١) Robert Rozeinai: Islamic Sufism Unbound, Palgrave Macmillan, New York, 2007.

د/ حسين محمد صبري حسن
بين المسلمين، وكان التصوف قد تم بعيداً عن رعي المسلمين وقاطعهم الصالح مع ما حمله مفاهيم الإسلام من أخلاق وروحانية.

والثانية: اعتبار الحياة الروحية هي الوجدانيات يقضي إلى التساؤل : أين تكمن إذن الأخلاق العملية في هذه الحياة الروحية ؟ تلك الأخلاق التي كانت تجسداً عالياً حقيقياً لروحانية الإسلام.

والثالثة: اعتبار أن الوجدانيات مجعماً لبناء التصوف في الإسلام، يجعلنا نعيد سؤالا سابق أن طرحناه: هل بهذا يُعد التصوف عنصراً جوهرياً في بناء الإسلام ؟ لأن طريقة المتصوفة كانت ترجمتهم القلبية لما استوعبوه من روح الإسلام، فلذا صارت هذه الطريقة عنصراً مكوناً للإسلام، فهل يصح أن نتّبع بها ؟

لقد انشاق كثير من الباحثين بل وبعض من الصوفية أنفسهم إلى هذا المعتقد، يقول عبد الحليم محمود بأن "الصوفية ليست شيئاً أصيب إلى الدين الإسلامي، إنما ليست شيئاً أتى من الخارج فالصق بالإسلام، وإنما هي، بالعكس، تكون جزءاً جوهرياً من الدين، بل يذهب بعيداً في قوله "إن الدين بدونهما - أي الصوفية - يكون ناقصاً"^(٤٧)، هو لم يفرق بين الإسلام كدين وبين آثار هذا الدين وانعكاساته في رعي المسلمين، فلما أراد أن يلخص شبهة ظهور التصوف لأثر غير إسلامي، أثبت أن التصوف جزء جوهري من الإسلام، والحق أن التصوف فعل ناتج عن تعلق المسلمين بدينهم، وليس واحداً من مكوناته، ربما نستطيع تقدير قيمة الزهد في الإسلام وأنه يشل نسجاً أصيلاً فيه، لكن لا ينبغي هذا أن التصوف جزء من الإسلام، كما لا ينبغي أن يذبح أحد عن التصوف صفة الإسلامية فيه، والتي كانت المميز الأبرز لأفعال وأقوال رجاله، لأن بعض الباحثين قد بالغ في إضفاء صفات أكبر وأخطر مما أراده التصوف والمتصوفة، إلى درجة أن أحدهم يدعي "إن التصوف

(٤٧) عبد الحليم محمود: قضية التصوف، ص ١١٧.

ومن يرى قوة السبب الذاتي في هذا الأمر عليه أن يؤكد على أن مجاهدة النفس وترويضها على احتمال أشد الآلام وكبح شهواتها هو أصل سلوكي قامت النظم الصوفية كلها عليه (٥٦)، وعليه أن يثبت:

- أن التصوف نزوح صلي إلى التعبد
- وإلقاء بمسلك الرسول الأعظم محمد ﷺ في حياته
- رسمت عالم عند كثير من المسلمين في القرون الأولى للدين، استمد جوهده ووجوده وشرعيته من نصوص الوحي.

ربما لهذا يقول أبو ريان "اتبع المسلمون أولاً القرآن والسنة، ثم ظهرت جزئيات كثيرة تطلبت من المسلمين أن يحكموا عليها إما حسب العرف أو حسب إدراكهم لمعنى الغير" (٥٧)، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن ما رجه الفكر الروحي بين المسلمين قد تمثل في عمليتين متكاملتين هما:

- الإدراك الفردي
- والوعي الجمعي

إنهما يفسحان المجال واسعاً للاختلاف في فهم مراد النص، وفي تقرير مذاهب الاختلاف بين المسلمين - وبهم التصوفية - لأن نتائجهم كان فعلاً دينياً اختص بهم، وهذا يوصلنا إلى أن التصوف هو نتاج إسلامي محض - على الأقل في نزوعه الأول - ممارسة الزهد - وليس عنصراً مكوناً من مكونات الدين، رغم اعتباره من قبل البعض ذروة الوجدان الديني، إما ظهر كرد فعل على الترف والرفاهية والانغماس في الملذات والماديات التي سادت عصر الأمويين (٥٨).

(٥٦) حسين مروية: الزعجات الملائكة، ج ٢، ص ١٥٩.
(٥٧) أبو ريان: تاريخ الفكر اللغوي في الإسلام، ص ٥١.
(٥٨) أحمد محمود متنجي: التصوف، ص ٣٧.

د/ حسين محمد صبرى حسن
والتصوفية، فمن غير المعقول أن نعتبر تفسير سورة أو آية بالفاظ - دالة على ما دلت عليه ألفاظ القرآن - قرآناً مهما كان مطابقاً لدلالات السورة أو الآية.

لماذا التصوف؟

هذا أدى بالبعض إلى أن يحصر نشأة التصوف بين المسلمين بمعية الزهد والفقر، يقول مصطفى عبد الرزاق "يرجع إطلاق لفظ الصوف والتصوف بادئ الأمر حين جاء مرادف للزهد والعابد والفقير" (٥٩)، وأكد على المعنى نفسه من قال "إن مصادر التوجه الأيدولوجي في حركة التصوف هو صورة الفقر المنتشرة في بيئات التصوف" (٥٩)، وفي هذا تضيق وتوجيه قسري لنفسه تشبه التصوف بين المسلمين، إذ لا يكون الفقر دائماً معرضاً على الزهد والدين، فربما أخذ الثراء بصاحبه إلى أعلى مراتب الدين والزهد.

ويعزى ماسينيون النزوح إلى التصوف إلى "ثورة الضمير على ما يصيب الناس من مظالم لا تقتصر على ما يصدر عن الآخرين، وإنما تنصب أولاً وقبل كل شيء على ظلم الإنسان لنفسه" (٥٤)، وقريب من هذا قيل إن التصوف في الإسلام "نشأ أول ما نشأ عن ثورة الوجدان الداخلي على فساد الأوضاع الاجتماعية القائمة والأخطاء الذاتية وعن شوق قوي إلى طهارة باطنية تمكن من الوصول إلى الله تعالى" (٥٥)، هكذا تم تأصيل مقدمات نشأة التصوف في:

- سبب اجتماعي سياسي.
- وسبب ذاتي (الطهارة من الذنوب)
- وسبب وجداني (الشوق إلى الله تعالى)

(٥٩) مصطفى عبد الرزاق: التصوف، ص ١٧.
(٥٤) حسين مروية: الزعجات الملائكة في القامعة العربية، ج ٢، ص ٣٠٨.
(٥٥) ماسينيون: التصوف، ص ٣٧.
(٥٥) حنا الأندلسي: تحليل الحر: تاريخ الفلسفة العربية، ج ١، ص ٢٤٤.

يعتبر ابن عربي عراقي أو فارسي أو مسيحي أو يوناني ، ومن يتأمل طيف مجده المتس له حرية اختياراً في القرآن والسنة وسيرة كبار الصحابة (٢٠) .

فانه لم يأت مسلم مثلاً مكرراً في الاسلام مثلاً طُف المسار الروحاني الذي يعد المصروف أريد مطالبه ، فقد أرجع قلوبهم بالكشف الى الاكثوية ، واعتبر نوعاً من التوجه ، ولت قلوبهم بالمحاول ، والقلب انما اخذوه نتيجة مخالطتهم للشريعة (٦١) ، في بداية التي الصوفية التي ، تربطهم بالتشيع ومذاهب ، ويقبل ان غموض التعبيرات التي صرح بها الصوفية زادت المسألة بينهم وبين الفقهاء الذين يعتبرونها شططاً ، وبينهم وبين العلماء الذين زودوها حشداً لا يمكن اخضاعه لرهان علمي (٦٢) ، في إشارة الى بعضهم من النافذة في الدين واستحالة تقنين أحوالهم بشكل علمي ، فضلاً عما يقال عنهم في كل حين أنهم عاينوا لها بدلاً منه من المبالغة والاعتداد بالمظاهر والاعتراف بالدرجة أن من يشرفون علي الطرق الصوفية في القرون الأخيرة أميون بقدرة قيادة الأفاضل والمريدون (٦٣) ، ولهم تقاضوا في موقفهم من الشريعة عندما سعوا الروحانية نفسها ، وقالوا بالاتحاد والحدوث والوجود ، وكلها تصب في إطار وحدة مبدأ الاتصال المطلق بين الله والانسان عن طريق الاتصال المباشر بين الله والاعمال في ألم مسوره وهي الفناء (٦٤) ، ولهم تقاضوا عن مشاركة المسلمين في الأوهام عند الصائرين مثلاً حدث من الغزالي وابن عربي (٦٥) ، بل إنهم تجاوزوا ما يسمونه الصوفية والروحية ومرويات السنة النبوية الصحيحة (٦٦) ، وقد وصلت حملة تصفية الصوفية أقصى مداها واعتبارهم " ليسوا من الإسلام في شيء " ، بل كفاراً بالاسلام (٦٧) ، وثالثهم الأذى من أصحاب حركات التجديد الإسلامي حديثاً

١٠ أحمد عفيفي ، المصوف ، ص ٢٠
١١ ابن عربي ، المقامات ، ص ٢١٧ ، ودينيك أوفيا : تاريخ الفكر العربي والاسلامي ، ص ٢٦١
١٢ ابن عربي ، المقامات ، ص ٥٨
١٣ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦١
١٤ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦٢
١٥ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦٣
١٦ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦٤
١٧ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦٥
١٨ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦٦
١٩ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦٧
٢٠ ابن عربي ، المقامات ، ص ٦٨

يؤكد ذلك أن حضارة الإسلام استكملت منذ نشأتها نظرياً البذور الأولى لتأججها من الفكرية ، وأن هذه الاتجاهات أخذت - على تفاوت فيما بينها - تتطور وتتم تبعاً للعوامل الداخلية - اجتماعية كانت أو دينية أو أخلاقية - أو سياسية التي وجدت في البيئة الإسلامية (٥٩) ، هكذا يتضح أن هناك فرقاً بين مذهبين ، وهما :

- الإسلام: ديناً سماوياً منزلاً على رسوله الخاتم
- والتصوف: فعلاً بشرياً ، أنتجه ورسم ملاحمه ، وأكد عليه الساموالم

المصوفي - في شتى صوره - التي تعكس بها رجاله في ظل الإسلام فالخلاف بين هذين الوجودين - وإن تاملنا كثيراً وتناقروا قليلاً - يودعي إلى كثير من المشاحنات وسوء الفهم وأغاليط الاستنتاج ، إذ أننا لو تأملنا عندما أوجهه إلى دراسة التصوف لفهمه وإبراز قيمته الحضارية في ظل الإسلام ، فأنزلنا مواقف وعبارات رجاله ، والقيمين عليه ، ومذيعيه ، وأحكاما السابقة عليه ، فلا نفعل غير أن نقصده .

وهذا يجعلنا وجهاً لوجه أمام إجابة نخشى مقبولاً بوسائل العلم ومناهجه التحليل ، هي أن ما حمله المتصوفة من المسلمين كان إراثاً إسلامياً محشداً ، ككله مع رقيه وتميزه وروحانيته لا يشكل واحداً من مكونات الإسلام ، بل هو أثر من آثاره انعكس في كل عصر بين فئة من المسلمين ، فاستوجب وصفه بـ " التصوف المسلمين " ، وليس بـ " التصوف الإسلامي " ، وربما كان السبب الذي أدى إلى الخلط بين هذين التعبيرين هو ما عبر عنه أحمد مسيحي بتعريف " التصوف برون " لدراسة " التصوف " برون " الموقف من التصوف " ، فمن أوله غريباً عن الإسلام ولديه التي

(٥٩) عبد الحليم حمدي : قضية التصوف ، ص ١٨٢ ، حسين مروءة : الأثر حلت المذهب ، ص ١٧٠ ، والشيخ رشاد الفكر الفلسفي في الإسلام ، ص ٢٢

- إن نماذج الأفعال التعبدية التي توعت بين رجال التصوف ولاقت رواجاً بين الناس إنما تنسب إلى المتصوفة لا إلى الاسلام.
- إن روحانية الاسلام أكبر من أن يحيط بها علم واحد من علوم المسلمين عبر العصور.
- إن أخلاق الاسلام أعم وأشمل من أن تعبر عنها سلوكيات المتصوفة وحدهم.
- لذا توصي الدراسة بأن يُعاد النظر في تعبير "التصوف الاسلامي"، لكي يحل محله تعبير آخر هو "تصوف المسلمين" ليظل التصوف كعلم وكممارسة - قابلاً للتقيد العلمي والتحليل الموضوعي من جانب الباحثين المسلمين، ومن جانب غير المسلمين.

(١٨)، واعتُبر أن حركة التصوف قد انتهت إلى نظم وتقاليد وطقوس شكلية، ففرغت نهائياً من مضمونها الأيديولوجي، وإلغيت حركة رجعية طائفية لعبت دوراً خطيراً في عملية التخدير الاجتماعي (١٩)، ويبدو أن هذا الهجوم مبالغ فيه، ونطغى عليه تعاليم لا سند لها من التاريخ المصنف، كما أصاب هذه الأحكام تشابك وخط واضح بين ما هو "تصوف" و "لا تصوف"، أو بين "متصوف" و "مدعي تصوف"، فليس من الإنصاف نقّبت التصوف - حتى ولو كان على المستوى النظري - فيقال هذا تصوف سني، وهذا تصوف بدعي - إذ كيف يستقيم أن نقول في أن واحد "تصوف" و "بدعي"، ذلك مضاعفاً لبيدهيات العقل العلمي، كما أنه يصنع قصاصات مسيقة تقتدر أحياناً إلى معايير التقييم المصريح، لأنها تبنى على أحكام جزئية، فليس التصوف برجالاًه ونظرياته وأدواره منفرداً بما أصابه من تغيرات وتحولات وعثرات، وربما جملة من نظريات وتعايير، لأن كل مسار فكري قطعه المسلمون في وعيهم بيدهم قد أصابه ما أصاب التصوف من أصفاف المعقول وغير المعقول معاً.

نتائج الدراسة :

بعد هذا البحث التحليلي النقدي لمسار التصوف بين المسلمين، نتوصل الدراسة إلى ما يلي:

- إن التصوف كعلم وممارسة وأفعال تعبدية وتعبيريات لغوية من شعر ونثر، يعد واحداً من اجتهادات المسلمين نتيجة تقاطعهم مع التصووص القرآنية والتصووص النبوية، لذلك فالمتصوف أثر من عمل العقل المسلم، ولا يجب أن نتناوله كمفرد مكون من مكونات الاسلام.

- إن كل الأحكام التي تصدر على التصوف ورجالها ونظرياته إنما تعود على التصوف نفسه - سلباً أو إيجاباً - ولا تعود على الاسلام كدين وحقيدة.

(١٨) احمد صبيحي : التصوف ، ص ٤٠٣
(١٩) حسين مروة : النزعات الملوثة ، ج ٢، ص ٢١٥

- الخازن : لباب التأويل ومعاني التنزيل، مكتبة المثنى، بغداد
- رد هبة كيار العلماء على كتاب "الإسلام وأصول الحكم" للشيخ طي عبد الرزاق ، تقديم :السيد تقي الدين ،مجلة الأزهر، ١٤١٤هجرية
- الزوخشري : الكشاف ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض ، مكتبة البيكل ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٨
- سعيد حوى:
- الإسلام ، دار السلام ، القاهرة ، ط ٤ ، ٢٠٠١
- تربيتنا الروحية ، دار السلام ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٣
- الشاذلي : المواقفات، تحقيق: أبو عبيدة آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٩٩٧
- الطوسي: الملح ، تحقيق : عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ط ١٩٦٠ .
- عاصر النجار: الطرق الصوفية، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥
- عبد الحليم محمود: فضيلة التصوف، نسخة الكترونية متوفرة بمكتبة المصطفى
- عبد الرحمن الميداني: الاخلاق الإسلامية، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٩٩
- عبد الكريم الخطيب: التعريف بالإسلام ، دار المعرفة، بيروت
- فرسل عوز: التصوف الإسلامي، مكتبة سعيد رافق، القاهرة، ط ١٩٨٣
- الدارابي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٠٠٦
- ماسيارون، التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٤
- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، دار الفرقان، القاهرة
- مصطفى حاسي: الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ن ط ٢ ، ١٩٨٤

مراجع الدراسة

أولا: الكتب العربية

- إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية، سميركو للطباعة، ط ٢
- ابن تيمية: التفسير الكبير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- ابن خلدون : المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢.
- ابن رشد: فصل المقال والكشف عن مناهج الأدلة ، تحقيق : مصطفى عبد الجوار عمران، المكتبة المحمودية للتجارية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦٨
- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة
- أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣
- أحمد محمود صبحي: التصوف، دار المعارف ، القاهرة
- البيهقي: في تحقيق ما للهند من مقولة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العشائية ، حيدر آباد ، ط ٢
- التيجاني: كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٦
- الجرجاني: التعريفات ، مكتبة مشكاة الإسلام (نسخة الكترونية بمكتبة المصطفى) .
- حسين صبري: رؤية الله في الإسلام ، دار الضياء ، أبو ظبي ، ط ١ ، ٢٠١١
- حسين مروه: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، دار الفارابي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٥
- حنا الفاعوري وخليل الحر: تاريخ الفلسفة العربية، دار الجبل، بيروت،

- مصطفى عبد الرزاق: التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١،

١٩٨٤

- المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس وآخرون ، دار إحياء التراث العربى، بيروت

١٩٨٤ ، ط ٢ ،

- محمد دراز: دستور الأخلاق في القرآن، دار الدعوة، الإسكندرية، ط ١ ،

١٩٩٦

- النشر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط ١

١٩٩٥،

ثانيا : الكتب الأجنبية

- Carl W. Ernst : Early Islamic Mysticism , Translated by: Michael Sells, Paulist Press, New Jersey, 1969.
- Mark J. Sedgwick: Sufism The essentials , The American University in Cairo Press, Cairo , 2000.

- Paul L. Heck: Sufism Today.

- Robert Rozeznal : Islamic Sufism Unbound , Palgrave Macmillan , New York ,2007 .

MUFAL

Menoufia University
Faculty of Arts
Journal

VOL. (102) , NO. 26 July 2015

[http : // Art.menoufia . edu . eg](http://Art.menoufia.edu.eg) *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com